خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

٢٠ من صفر ١٤٣٦ هـ / ١٢ من كانون الأول ٢٠١٤ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستنّ بسنّتهم إلى يوم الدين.

من اعتمد على علمه ضلّ، ومن اعتمد على عقله اختلّ، ومن اعتمد على سلطانه ذلّ، ومن اعتمد على ماله قلّ، ومن اعتمد على الناس ملّ، ومن اعتمد على الله، فلا ضلَّ ولا قلَّ ولا ملَّ ولا ذلَّ ولا اختلَّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عزَّ وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠].

معاشر الإخوة: إن أمتنا الكبيرة تنتشر فوق بساط من الأرض الطيبة، التقت فوقه مقاليد الدنيا ومفاتيح العمران، وفي قبضة يدها رخاء العالم وشظفه، ونستطيع الجزم بأنها لو أحسنت استغلال ما تملكه فإن سائر الأمم الأخرى تحتاج إليها، ولا تحتاج هي إلى أحد، فإن شرايين الحياة الاقتصادية للقارات الخمس تبدأ مِنَّا وتنتهي إلينا، إن الأمم لا تؤدي رسالتها بالمجان، ولا تبلغ أهدافها عن طريق الفقر والكسل والإهمال، فإن أعباء الحياة أثقل مما يطيق الكسالى، وأوسع مما يفكر القاعدون، والرسالات الكبرى وفيها الحق والباطل تكلف ذويها أن يبذلوا ما عندهم وأن يستنبطوا منابع أخرى تُعين على البذل والإنفاق، ونبوغ المسلمين الاقتصادي هو الذي عَكَّرَ على اليهود مُستقرهم بالمدينة، وجعل الأسواق تفيض بعزمهم وخبرتهم،

ولو كان هؤلاء الأصحاب الكرام بيننا في هذا العصر لما تجاوزت أزمة الحياة الصناعية والتجارية أيديهم اللَّبِقَة، ولرأيناهم بالمدائن والقرى آيات من الدأب والكفاح والنجاح، ولم تكن تقوى الله في عصور الفهم والإدراك علامة على السذاجة والفراغ والعجز كما هي الآن في عصر الانحطاط المادي والمعنوي الذي نتخبط في ظلماته، بل انظر إلى واحد من عباد الله الصالحين أوتي خبرة في الحصون السامقة، يلجأ إليه الخائفون من الغزو، قالوا له: ﴿يا ذا القرنين قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤].

إن عباد الله الصالحين لو أرادوا مثل ذلك اليوم لاستقدموا الخبراء الأجانب ووقفوا ينظرون مشدوهين إلى براعتهم وفنهم.

يا سادة: لقد لانت صناعة الحديد لداود عليه السلام، وعد الله ذلك من أنعمه عليه، وقرن نعمة هذا الإلهام الفني الرائع بنعمة التوفيق إلى العبادة الخاصة، تلك العبادة التي أطلقت لسان داود بآيات تُسَبِّحُ نغماً حُلماً تردد صداه الجبال وتشارك في ترجيعه الطير، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠] في هذا الجو الطهور من الإخلاص لله وشكر آلائه كانت المطارق تُدَوِّي والمسابك تصوغ والأفران تصهر.

يا سادة: إن العالم العربي والإسلامي خارت قواه المادية مُنذ جهل دينه، وما يستهدفه هذا الدين للإنسانية من هدايات وأمجاد، واليوم نتلفت فنجد الأمم الكبرى تتدفق من بين يديها ومن خلفها ينابيع الثروة التي لا تحقق بها هدفاً نبيلاً ولا عملاً جليلاً، أما نحن فننتظر منهم أن يُقدموا لنا الإبرة التي نخيط بها ثيابنا، والملعقة التي نأكل بها طعامنا، ولَكَ أن تسأل: لم تكون هذه أحوالنا وأوصافنا، ولم تمضِ بنا سُنَّة الحياة فينا على هذا النحو القاسي، أَخُلقنا من طينة غير طينة هؤلاء الذين يُحاولون أن يَسُودوا الدنيا ويقودونها؟ وإنك لتتساءل: ما هو سِرُّ هذه الكبوة

وما سبب هذا التخلف؟ سنرى، نعم سنرى أننا نحن وحدنا من وراء هذا الانهزام والتقهقر، مثلما تساءل المنهزمون في معركة أحد، فقيل لهم: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

إن الشرق الأوسط -مع الأسف- لا يزال موضوع ازدراء الأمم الراقية رغم غناه بالمواد الأولية الهامة، ورغم مركزه الممتاز في عالم التجارة، ومن أعجب الأمور أن للشرق الأوسط مركزاً استراتيجياً ممتازاً، ففي رقعته تقع أكبر الموانئ والمطارات وسكك الحديد الضرورية لأي دفاع أو هجوم، فهل استفدنا من هذا المركز الممتاز؟ لا، السبب أننا مُختلفون فيما بيننا على أمور ثانوية، تاركين الدول المعادية تَستغل مواردنا الاقتصادية وقواعدنا الحربية وطرق مواصلاتنا ومطارتنا وموانئنا بدون أجر أو ثمن مَعقول، بل بِدُون أي ميزة كبيرة نَستفيد بها في معالجة تأخرنا الاقتصادي والاجتماعي.

إنك لتتألم -أيها السوري- وتشعر بحرقة في قلبك وغصة في حلقك وتبكي عينك دماً عندما تجد اقتصاد وطنك يَحترق على بعض أيدي أبنائه وأيدي أعدائه، في الوقت الذي تَجد فيه شعوب الغرب يعملون في ليلهم ونهارهم لدعم اقتصادهم، لأنهم يُدركون أنَّ الاقتصاد وقوته هو رئة التنفس بالنسبة لهم، وأن حياتهم لا تَسعد إلا بالحفاظ على أوضاعهم الاقتصادية.

قرأت أن الملكة "ماري" أهدت إلى الدولة سُجَّادة صنعتها بيدها في ثماني سنوات، وطلبت الملكة أن تُعرض هذه السجادة في مزاد بين دول العملة الصعبة، ويُضاف الثمن إلى رصيد بريطانيا مِن هذه العملة، وقد تَحدثت آنذاك الصحف العالمية أن الملكة "ماري" قد قامت بصنع سُجادٍ جميل ثمين قضت في نسجه أعواماً طوالاً، ثم قدمته هدية إلى الشعب البريطاني كي تَباع في أمريكا، وتنفق الدولارات التي سَتُشرى بها السجادة من أجل دعم رصيد بريطانيا، حَتَّى أَنَّ الصحف المصرية

آنذاك تَحدثت عن ذلك الشعور، أو كتبت عن ذلك الشعور الذي دفع الملكة إلى التفكير في خير بلدها في هذه الظروف القاسية الاقتصادية التي تمر بها بريطانيا.

ولك شاهد آخر على ما نقول، في عام ألف وتسعمائة وواحد وخمسين –انظر أيها العربي، وأيها المسلم بدقة إلى هذا الكلام– في عام ألف وتسعمائة وواحد وخمسين، طلب آنذاك رئيس الولايات المتحدة "ترومان" إحدى وسبعين ملياراً من الدولارات تُؤخذ ضريبة من الشعب الأمريكي، وذلك من أجل التمكين لأنفسهم أو التأمين لمبادئهم كما يَقولون، حيث رُصدت ثمانية وأربعون ملياراً للدفاع الوطني والدولي والمساعدات العسكرية الخارجية، إنما يَعنينا من ذلك –يا إخوة– أن نقول: أن الشعب الأمريكي قَبِلَ رضي النفس أن يُؤدي هذه الضريبة الفادحة، وأنه لم يُنكر ما عليه من حقوق وواجبات، والشعب في الحقيقة يدفع باليمين ما يأخذ بالشمال، فما يؤخذ منه يُرد عليه وينفق على مصلحته، والمجتمع الناجح –انظر أيها السوري، انظر أيها العربي– المجتمع الناجح هو الذي يرتب ميزانيته ويدعم اقتصاده لرفع مستواه، والمجتمع الصالح هو الذي يعمل ويضع الخطط الصالحة لدعم الاقتصاد، وذلك لدفع غوائل الفوضى والفساد في البلاد، والمجتمع الراقي هو الذي يَعمل على تضخيم ميزانية الدولة لتنفيذ كافة الخدمات التي يحتاجها الفرد، فلا يَجوز أن تكون هناك عوائق اقتصادية تَحول دون أن تنتفع به الأمة وترتفع.

إن الحرص على المال العام واحترام حق الدولة والفرد فيه خلقان ينموان في كل مجتمع راشد، ويهزلان في كل بيئة وضيعة، والأمة التي يُراق مالها العام في التراب، أو يُترك غير مرموق بعناية، أو يعد غنيمة بادرة لمن استطاع إحرازه، الأمة التي تبلغ هذا الدرك لا تُبشر شؤونها بخير أبداً.

لقد كانت سوريا بفضل الله ﷻ، كانت سوريا على مر التاريخ بلد خير وعطاء وازدهار، وذاك نظراً لما تتمتع فيه من موارد خَيِّرة وفيرة، وإلى ذلك أشار الكاتب في كتاب "حضارة العرب" حيث قال: وبلغت الصناعة والزراعة درجة رفيعة في سوريا،

حيث كانت سوريا من أغنى أقطار العالم دائماً –انظر أيها السوري– حيث كانت سوريا من أغنى أقطار العالم دائماً مالم تنلها أيدي التخريب. فهل أدركت –أيها السوري– لماذا شُنت الحرب عليك، على اقتصادك وعلى المحاربة من أجل لقمة عيشك، سوريا اليوم عمل أعداؤها على حرقها، ووصلت أيدي التخريب فيها إلى كل مكان، كل ذلك لأن أعداؤها يُدركون أن سُوريا قوية بمواردها وخيراتها، قوية بإرادتها التي لا تنحي، ولا تركع إلا لله عز وجل، حتى أصبح السوريون اليوم يقولون: رحم الله أيام الخير والعطاء والأمن والأمان، وهذا الكلام يُذكرك بالمثل الذي يقول: رب يوم بَكيت منه فما جاء غيره بَكيت عليه.

وإذا أردت أيها السوري أن تعود سوريا كما كانت فلنكن جميعاً قلباً وقالباً مع الوطن، لا أن نكون كما قِيل في المثل القديم: الناس قلوبهم مع الحسين وسيوفهم مع أعدائه. هذا الوطن إذا أراد أن يقف كما كان وأفضل يَحتاج إلى رجال صادقين، يحتاج إلى أناس مخلصين، يحتاج إلى أبناء يعرفون حقه، يَعرفون قيمته، يعرفون قدسيته وعراقته، لا يحتاج إلى مراوغين، المراوغون هم أشنع من الإرهابين الذين حملوا السلاح، كم هُناك من أناس باعوا الوطنيات، وباعوك كلاماً كثيراً، ولكنك عندما تضعهم على المحك كما يُقال لا تَجد فيهم جنس الانتماء إلى وطنهم، ولا تجد فيهم شعوراً بالحب لوطنهم، هذا الأمر يَكثر فينا مع الأسف، أُعطيك دليلاً على ما أقول، ألم يُنادي شيخ الفتنة "عدنان العرعور" المغرور بنفسه المغرور بالريالات والدولارات والأموال التي مُوّلَ بها سعودياً وقطرياً وتركياً، ألم يَقل: يا سوريون أحرقوا حلب؟ وأُحرقت حلب مع الأسف، بلد الصناعة، عصب الصناعة السورية، ألم يقل: يا سوريون لا تدفعوا ضريبة الأموال التي تجب عليكم تجاه الدولة؟ وكثير من الناس أعرضوا عن دعم ميزانية الدولة، وأنت جهلت أيها السوري ما تنفقه للدولة يُرَدُّ عليك ويُنفق في مصلحتك، ألم يقل: لا تدفعوا فواتير الكهرباء والماء؟ ونحن نُريد أن نُبين للناس، أن سيد الوطن بشار الأسد حفظه الله ورعاه كَم مِن قَرار ومرسوم

أرصده رأفة بالمواطن ورحمة به، حيث كانت القرارات والمراسيم تَخفيضاً للضرائب والرسوم، لأن سيد الوطن يُدرك أن الشعب السوري حُورب حتى في لقمة عيشه، لكننا نَلوم أصحاب القدرة المقتدرين الذين لا ينفقون الحقوق والواجبات المترتبة عليهم.

أما اليوم يقول السوريون –مع الأسف– أين الغاز؟ أين الوقود؟ أين المواد الضرورية؟ أنتم من عملتم، أنتم من أوصل البلد إلى هذه الحالة المزرية، بلدنا بلد خير وعطاء، متى كنا نبكي على هذه المواد التي كانت بيننا في ليلنا ونهارنا، واليوم إذا أردنا أن نكون وأن نُعيد الكرة التي كُنَّا عليها يَنبغي علينا جميعاً أن ندعم الوطن، كلنا من أكل من خيرات سوريا، كلنا نبت لحمه من خيرات سوريا، واليوم عندما احتاجتنا سوريا عندما احتاجكم وطنكم تخليتم عنه حتى في أداء الحقوق الواجبة عليكم؟ تباً لمن يفعل ذلك، إن سوريا لا تستحق ذلك، حرام، والله حرام أن تضيع البلد، حرام أن يُقتل الأبرياء، حرام أن تُسرق الخيرات، كم وكم نَسمع في شاشات الإعلام في كل ساعة وليس في كل يوم أن الوقود يُسرق إلى اللص أردوغان، أن الوقود سُرق من قبل دعاة الثورة والحرية، أولئك المرتزقة السفلة الذين حاربونا في لقمة عيشنا، فالواجب عليك اليوم أيها السوري أمام الله أولاً، ثم أمام التاريخ، ثم أمام أبناءك أن تُحافظ على اقتصاد وطنك، وأن تكون لوطنك عوناً له وليس ضد مصالحه وأهدافه وغايته، إذا أردت أن تعيش حياة كريمة.

ودعوني أختم الخطبة بقول النبي صلى الله عيله وسلم عندما قال في حديث صحيح: (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فليغرسها) اعمل أنت والنتائج على رب العالمين، وتذكر أيها العربي، وتذكر أيها السوري، أن اليابانيين عندما أُصيبوا بزلزال تُسونامي أو خسف تسونامي، كيف وجدنا أفران الخبز قد أصبحت خالية، لم؟ لأنني سمعت أحد المواطنين اليابانيين يقول آنذاك: كنا في اليوم نَشتري

وجبة أو وجبتين من الخبز، لكننا عندما أُصبنا بهذه الكارثة البيئية أصبحنا نأخذ الوجبة الواحدة كي ندع المجال لغيرنا.

فنحن مَن نَصنع الأزمات، ونحن من نَخلق الكوارث، ونحن مَن نَسير في الطريق الخطأ مع الأسف، على الرغم من أن ديننا يبين لنا ما يُسعدنا في ديننا وأخرانا، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطـــــبة الثانيـــــة:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم ارحمنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض عليك، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم اسقنا غيثاً مُغيثاً هنيئاً مريئاً مريعاً سحاً طبقاً غدقاً مجللاً إلى يوم الدين، اللهم إنا نسألك أن تُعيد الأمن الأمان والاستقرار إلى ربوع وطننا الحبيب، اللهم إنا نسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، وأن تُثبت الأرض تحت أقدامهم، وأن تسدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، وأن تكون لهم معيناً وناصراً، اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد إلى ما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، واجعله بشارة خير ونصر للأمة العربية والإسلامية، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.